جماليات قصيدة الثورة: "الأغنية الشعبية نموذجا"

أ.حورية رواق
جامعة منتوري قسنطينة

مقدمة:

واجبنا نحو أمتنا ووطننا وتاريخنا هو العناية بجمع مأثورنا وتدوينه،ولأن الموروث الشعبي أحد المواد الخام والزاد البسيط المعبر عن ثقافة أمتنا فهو بحاجة أكبر إلى هذه العملية ،خاصة ما قيل في فترة الثورة لأنه يكاد يشكل ويمثل فترة تاريخية توازي عهدا قائما بذاته، ذلك لأن كل فئة من فئات الشعب مثلت موقفا من مواقف الثورة فعبرت عن مشاركتها بطريقتها الخاصة.وموضوع الدراسة هو قراءة في أغنية الثورة وإبراز جمالياتها مضمونا وتشكيلا ،وهي قراءة تحاول الكشف عن القريحة الشعبية المرهفة المسؤولة والمضحية عبر أنفاس الأغاني الشعبية،ونبراتها الشجية ،مع لفت انتباه المؤرخين القائمين على رصد الحقائق إلى ما تحمله هذه الأغاني من جوانب نفسية واجتماعية تجعل من الموروث الشعبي عامة والأغنية خاصة لا تقل قيمة عن أي وثيقة تاريخية أخرى ،بل قد تحمل أحيانا ما تفتقر إليه الكثير من الوثائق .ذلك أن هذه الأغاني كانت ولا تزال في ذاكرة الشعب تمثل جزءا لا يتجزأ من تاريخه بما تترجمه من معاناة ومن أفراح،وبخاصة ما تحمله من إيمان وطني بوجوب الجهاد المشروع والدفاع المستميت من أجل الوصول إلى الأمل المنشود دون هوادة وهو الاستقلال والحرية . وبهذا الحضور للأغنية الشعبية في تاريخ الثورة الجزائرية لا بد أن يكون الاهتمام بها أقوى لأنها في الغالب نقل أمين وصادق للمعاناة والانتصارات،وهي فوق ذلك وجه من وجوه التجربة الإنسانية لارتباطها بقضايا العصر أو الفترة التي قيلت فيها فكرة ولغة - وإن كان بعض النقاد يعيب عليها تلك اللغة ،فذلك لا يحط من قيمتها بقدر ما يرفعها لأن العمل الفني يقاس بمقدار الأثر الذي يتركه في المتلقي وهو ما أكدته فلسفة الجمال الحديثة - خاصة والأمر يتعلق بموضوع الحرية والكرامة والسيادة وهو من أعظم الغايات التي تسعى الأغنية الشعبية إلى تحقيقها .ولأن العمل الفني لا يمكن أن يكون ذا وزن إلا إذا نتج عن مواقف خاصة صادرة عن ذات شاعرة، تأتي الأغنية الشعبية لتمثل موقفا يلتحم فيه الفرد مع الجماعة فتنوب عن التعبير القابع في الذاكرة الجماعية بأروع وأقوى الصور. وقبل الشروع في قراءة الأغنيات المختارة، لا بأس بتقديم تعريف للأغنية الشعبية عامة لمعرفة العلاقة بينها وبين ما سنتناوله بالدراسة من أغاني الثورة الصادرة من عمق الشعب الجزائري ،نورد تعريف " كراب " الذي يقول :" أنها قصيدة شعرية ملحنة مجهولة الأصل ،كانت تشيع بين الأميين في الأزمنة الماضية وما تزال قيد الاستعمال "(1). ويعرفها "جورج هرتسون": " بالأغنية الشائعة أو الذائعة في المجتمع الشعبي ،وأنها تشمل شعر الجماعات والمجتمعات الريفية وموسيقاها التي تتناقل آدابها عن طريق الرواية الشفهية دونما حاجة إلى تدوين "(2).

وعلى هذا فالأغنية الشعبية الجزائرية هي لون من ألوان الإبداع دافعه واضح أمام الجماعة،وفي الغالب هو مشكل جماعي يتطلب حلا ،وعليه فهذا النوع من الإبداع هو أسهل من الإبداع الفني الذي يتطلب تركيزا وتفكيرا فرديا نومن هنا نخلص إلى أن الشاعر الشعبي تتضافر في تكوين شخصيته عوامل عديدة تؤثر في قوله ،كالمولد والنشأة والبيئة وأحداث العصر التي يتأثر بها ويؤثر بها في الوقت ذاته ،وأما لشاعر الشعبي صاحب الأغنية الثورية فهو ذلك الأصيل الصادق والواضح الذي لم تفسد تفكيره مغريات فرنسا ولا الخونة .ومن هنا كانت الأغنية الشعبية في معظمها

تعبير عن الروح الثورية والكفاحية ،وعن موقف الفرد الجزائري من القضية الوطنية المصيرية وتعظيم التضحية ما دامت سبيل الوطن والمقدسات وكذا تمجيد الأبطال وكل ماله صلة بالثورة مهما كان بسيطا ،ولما كانت الجزائر خصبة للنبوغ استطاع أبناؤها ترجمة غيرتهم على وطنهم ومقدساتهم في أغانيهم الشعبية الصادرة عن مختلف الفئات رجالا ونساء وجنودا وحتى أطفالا ، فلقد كانت الأغاني بمثابة الغذاء الروحي لمواجهة العدو خاصة وأن استمرارية الثورة أمر مرهون بالإثارة المتواصلة لتظل الروح الوطنية ونزعة التحرر ماكثة بالنفوس تزيدها إباء وتحد.وعلى العموم فالأغاني الشعبية على بساطتها ظلت على الدوام دافعا نحو الصمود والعمل على تغيير الأوضاع ولأنها ماثلة باستمرار ومرتبطة بدورة الحياة اليومية للمجتمع الجزائري فقد ساهمت بدور فعال في التزام الشعب الثورية التامة والمحافظة على الأصالة لغة وعقيدة.

مضامين الأغنية الشعبية أثناء الثورة:

لعل أبرز الظواهر لفتا للانتباه اهتمام شعراء الغناء الشعبي بالموضوع أكثر من اهتمامهم بالأسلوب لتملك الروح الثورية ،واستبداد حماسها بنفوسهم مما جعلهم لا يتأملون في صورهم ،فكانت في عمومها حقائق لا تحتاج إلى خيال لتفخيمها بقدر ما هي بحاجة إلى نقلها كما هي عليه وبأبسط التعابيرأو على حد قول مفدي زكريا: " الشعر الحق ،إلهام لا فن وعفوية لا صناعة " .وهكذا ففكرة أية أغنية شعبية ثورية هي واقعة من وقائع الحياة الوطنية ،ولذلك قلت الأغاني ذات الاهتمامات الخاصة والشخصية إذا قيست بتلك التي تؤكد على القيم الوطنية الفاضلة ومنه كان الدفاع عن الوطن والمقدسات فضيلة كبرى.

من هذا المنطلق سنبدأ قراءتنا ((وللإشارة فالأغاني الثورية المختارة هي متفرقات من ديوان :الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية في الولاية التاريخية الأولى بالعربية والأمازيغية)) . فمن أغاني الثورة:

الثورة كثارت طلقت النيران

نفتح المدارس للعلم والقرآن

وفي أغنية أخرى:

سير يا ديقول ســـير في حالك

الجزائر الحرة ماهـــيش ديالك

جيش التحرير انحيـهـالـك

فهاتان الأغنيتان تؤكدان الشعور الثائر ، فبرغم بساطة اللغة يبث الشاعر الشعبي في المتلقي شحنة وجدانية من الأمل يتخطى بفضلها الفكر الخوف والقلق بل وحتى التراجع الذي قد يراوده فيندفع نحو تحقيق لحظة الأمل ــ خاصة عند أولئك المواجهين خطر الموت ــ المتمثلة في نيل لحرية، وما يتبعها من انتشار العلم وفتح المدارس التي أغلقت وفق القوانين الجائرة التي سنتها فرنسا، فمثل هذا التصور كما هو وارد في الأغنية الشعبية تعززه هذه الإشادة القوي بجيش التحرير ذخر الجزائريين فثقتهم به نابعة من إيمانهم بتحقيقه الصعاب لذلك ،لا يخشون مواجهة المستعمر خاصة إذا اعتقدوا اعتقادا جازما أن ثوابهم المنتظر بجهادهم هو الجنة .وفي هذا سجلت لنا الأغنية الشعبية أروع القول:

اسمـحـيـلي يا لـمـيـمـة اسمـحـيـلي في جـهـادي

اسمـاح اسمـاح لبابا وليدي مرسـولـة من عند العـالي

والأغنية تكشف أيضا عن النظام الأخلاقي الإسلامي الذي نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ،وهو ضرورة طلب رضا الوالدين واستئذانهما في الجهاد ،ويأتي رد الوالدة في ربط حب الوطن بالقضا. ويتأكد أمر الإيمان بحسن الثواب في الأغنية القائلة:

زوج اذراري طلعوا لجبال والغابة غطات عليـه

إذا عاشوا الحرية لـيـهـم واذا ماتوا الجنة ليهـم

وإذا كان الشاعر الشعبي لسان وصوت قومه فإنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من الحياة اليومية أثناء الثورة إلا وغنى عنها ،وهاهي الأغنية الشعبية تشخص الوعي الوطني ،والوقائع اليومية حتى لنكاد نراها ولم نعشها ،وهكذا يلتقي الشاعر الشعبي مع المؤرخ في تسجيل حقائق الثورة ولكن بوظيفة إيحائية ،من ذلك إفادته المتلقي بشمولية الثورة ،وسنقف عند مجموعة م الأبيات تثبت أماكن مختلفة التسميات لهذه الأرض الطيبة الشاسعة التي قامت عليها ثورة المليون ونصف المليون شهيد وهي مقتطفات من قصيدة طويلة :

عــن اجـبال لـوراس امطر صـــب من الرصاص (3)
زاد الحـــزم اقـوى من قسنطيـنـــة لـزواوى (4)
شـعـلـت النـار قـــالمة خـلـفت الثار
حـــرب اعـنـيف لقبايل وامحارقة وجبال سطـــيف
شـعـلـت نـيران مـــن الـجـزايـر لـوهـران
كـل الـبـلـدان لـــمديـة وسور الغزلان

ومن الموضوعات التي سجلتها الأغنية الشعبية ذكر أسماء المجاهدين الثائرين تخليدا لهم ،وأسماء الخونة استهزاء بهم والنص المالي يرصد مجموعة من أسماء المجاهدين الأبرار:

يا حمـيدة بن عـمار درت المينـة للكفـار(5)
يا لجيب صارت غبار يا اليوطنة قتلوا الدمـا
امصطفى بن بولعيد الشجاعة والقلب حديد(6)
الكانو والكرتوش جديد حكموك الخباثة باليـد
الحاج لخضر مول الشاش ما تعقبش اليوم على المعذر(7)
اصبح امسركل بالغسكر هيا الولاد الله ينصـــر.

ومن أسماء الأشخاص الذين هجاهم الشاعر الشعبي أو مجموعات الخونة

انهـارك يا مـزعـاش اللي تدخل في جيش لصاص(8)
تفرى ولا ما تفراش(9) تنـــدم ولا ما تعرفناش

وفي أخرى:

يا القومية لعمى يعميكم وافرنسا ما تدوم عليكم
تبعتوا المرقة واللوبية خلفتوا الوطن والحرية

وهنا نلمس الهجاء اللاذع للخونة لأنهم التحقوا بجيش فرنسا من أجل بطونهم وتركوا أغنى شيء وهو الحرية وهل هناك أخس ممن كان عبدا لشهواته. ومن المواقف الثورية البالغة الأهمية ،ارتباط المعارك بالجبال لأنها الحصون والقلاع التي اتخذها الثوار مقرات وثكنات لهم للتخطيط وهو ما تسجله الأغنيات الآتية:

يا جـبل لـــوراس كل شجرة بـتراس(10)
جبيت على بوعمـــامة لقيت العسكر غمامة
جبل تارشـويـــن(11) سركلوك المجاهـدين
جـبـيت على مـتليلي(12) نلقى السلاح مـــبيلي
يا جـبل بوطالـــب(13) أنت عـالي وبـعـيد
أنت عـالي وبعـــيد سكنوك الثوار في الظلمة ولجليد

ومن الموضوعات التي تنم عن حس وطني ،ظاهرة الانتخاب وموقف الفرد الجزائري منها وهو رفض التصويت لأنفته وتمسكه بموقفه المعادي للمستعمر يقول الشاعر الشعبي:

كيـجانا الـقبـطان امشينا اللافوت (14)
اصعصات لحـرايـر (15) وعـولـنا على الموت
قـطـعـنا ديقـول واتبحر القـــبطان
وما لقاش واش يقــول وحـبـيـنـا عـبـاس

ولأن الأغنية الشعبية تساير الحياة اليومية فهي لم تهمل وصف بعض الأيام المشهودة في تاريخ الجزائر المناضلة نورد هذه المفاطع:

انـــهـار الـحـد الكوبتير تدي وتـرد
يا مصطـــفى واحمـد اللـي استـشـهدوا
تلاقينا باحمـد بن بـلة اديقول ديقاج اعلينا(16)
انهـارك يا مـستاوة(17) كنتفكر هذاك الدمار
جا لراف على نص انهار(18) ماتوا عشرة من لحرار

وغير هذه من أسماء المعارك والأماكن كثير.والحقيقة أن الأغنية الشعبية سجلت حتى بعض المواقف الخاصة بالحياة اليومية للمرأة وهذا تعبيرها عن المشاركة الوجدانية:

والله ما نتـزوج احلفت واعطيت العـتاهـد
حتى تستـقـل الجـزائر وندي الشاب المجاهد

ومما وصفته الأغنية الشعبية لحظات الفراق:

ما تبكيش يا لعـجوز ما تبكيش ولدك شهيد
تبكي اميمة القومي (19) اللي سنيا ولى لها رومي

وفي أخرى:

أو اسي اسي لميمة واســي ما تبكيش
ولدك طالع لجبل ايموت وما يرنديش(20)

وإذا كانت المواضيع والمواقف التي تناولتها الأغنية الشعبية كثيرة ومتنوعة فإن خير ما نختتم به هو تلك الرسائل المغناة التي قصد أصحابها أن تجاوز أرض الجزائر إلى الدول الشقيقة لغرض أو لآخر.

تـونــس لحنيـنـة ما جابكش النيف اعلينا
الرصـــاص ياكل فينا هذا ربي زاد اعليـنا

وفي أخرى:

ثورتنا في لوراس تشوي معاها نور
تشـرق في واد الزهـــور
حتى من جيرانا تعـاون في العديان
والله ما نا راجعـين حتى الاستق

التشكيل اللساني وعناصره التركيبية والأسلوبية والتصويرية و الإيقاع

الأغاني الشعبية في عمومها استجابة لشعور فوري هدفه إذكاء الثورة ولقد حدد صالح خرفي السبب القوي الذي ينقص من قيمة القصائد الشعبية فينا إذ هي على حد تعبيره:"استجابة فورية للمناسبة العابرة"(21) .ويذهب العربي دحو إلى الرأي ذاته ،بمعنى أن الشاعر ينظم تحت إلحاح الانفعال الثائر ،وإذا كان يطلب من الشاعر الأصيل أن يكتب تحت تأثير هذا الشعور فهو ما يؤكده أيضا غنيمي هلال بقوله:"إن قوة الانفعال وثورة الشعور لا يتوف معها إنتاج ذو قيمة فلا بد من فترة تهدأ فيها المشاعر،وتختمر الأفكار التي يؤلفها الشاعر عن طريق تأمله في التجربة"(22).غير أن الأمر إدا تعلق بالأغنية الثورية فمثل هذا القياس قد لا يجوز حتى لا تكون هذه الأغاني شعر أصداء وهي التي حملت عواطف صادقة وإيمانا قويا بسمو الغاية ،وإذا كانت دون المستوى فذلك لأنها صدرت عن أشخاص أميين لا يتأملون في أفكارهم وصورهم وإنما هي بحكم المتلقي آنذاك في مستوى حدث التضحية بالروح والغالي ، وعليه فلعل الرؤية النقدية الموضوعية تجاه الأغنية الثورية لا تقتصر على دراسة الشكل والمضمون بقدر ما يجب أن تدرس بالنظر إلى "علاقة التداخل والتجاذب بين الفنان والفرد والمجتمع الذي يعيش فيه"(23) باعتباره الحاكم الأول والأخير تبعا لمستوى التأثير .ومن هذا المنطلق ستكون دراستنا وقراءتنا لهذه النصوص.

1- التشكيل اللساني :

على شساعة هذا لوطن تدور الأغاني الشعبية في فلك مفردات معينة بسيطة في مجملها ،بعيدة عن الغرابة ،إذ هي في متناول ساكني هذا الوطن على الأقل ،عباراتها تلقائية واضحة الدلالات ،لكن توظيفها فنيا يتوافق مع حرارة الثورة والاستماتة من أجل لحرية مما حقق لها الجمالية كما في الأغنية التالية:

لاله شجرة العرعار يا اللي مليانة سلاح ونار
هذوك ذراري ثوار اعلى دينهم زدموا للنار(24)

الألفاظ في هذه الأغنية على بساطتها وتداولها وقربها من اللغة اليومية تشكيل حقق التذوق لدى المتلقي والتجاوب وربما سريانها في وجدانه لأنها تعبر عن الشجاعة والاندفاع خاصة وأن الأمر لا يحتمل غير ذلك لدى من آمن بضرورة الدفاع عن الحرية وصيانة الدين .ولما كان هدف شعراء الثورة توصيل إبداعهم وإحساسهم وإيمانهم بالقضية فذلك ما لا يتحقق إلا بلغة ينسجم فيها الطرفان ((المبدع والمتلقي)) وهاهو الشاعر الشعبي يكثف من طاقته التعبيرية ليتجاوز بالمتلقي كل خوف وتردد يقول:

سي محمد والنقمة قوجيل والطابع م داخل راه مينيتير (25)
اخرج في الكولون واش راح يصير

وفي أخرى :

يا الخاوة يا لحرار اخرجوا نعطيوا انهار
هذي جنة هذي نار كلمة واحدة يا رجال

وفي أخرى :

يا مسـيو ديقول دبر واش تـقول
جـــاك الاسلام بالكـور المدغول

وفي أخرى :

سـلم يا ديقـول هذاك اللي كان
الجزائر ولدت جيل راسو عـريان

فهذا التشكيل اللساني المعتمد على الفعل (اخرج، اخرجوا ، دير ،سلم ....) ترسيخ لقيمة الوظيفة الشعرية للأغاني الشعبية،التي تضفي على النص ديناميكية في الحدث والزمن إذ الأمر يتناسب مع الحدث الذي يحمل غضبا من الواقع فالمسحة الدرامية تخيم على الوضع،وهكذا تتحقق الدفقة الشعورية فيشعر المتلقي معها بالقوة الصادرة عن الشاعر ذاته.

والمتتبع للتشكيل اللساني للأغنية الشعبية أثناء الثورة يلمس لحظة التقاطع بين الموقف الفكري والاعتقادي بكل أبعاده النفسية والسياسية والاجتماعية والإنسانية ،والموقف الإبداعي بأسلوبه المميز بالبساطة في عرض المضامين على اختلافها ،وإن أخذ هذا الأسلوب النبرة الخطابية المباشرة وروح الانفعال فذلك لأنها ترمي إلى محاربة الخوف وتحذر من الخطر المتعدد الوجوه.

2- التصوير:

قد يكون أروع تصوير في الأغنية الشعبية بالنسبة للمتلقي الثوري ذلك الذي يحل مشكلا،وجماليته تكمن في مدى الفاعلية التي يحققها ،ولهذا كانت المواد التي يعمل خيال المغني بها تلك الصور الموجودة في الذاكرة الجماعية والتي تقترب من المحسوس ، فجاء خيال الشاعر الشعبي كخيال الطفل لا يتعدى ما حوله وما يقع عليه إحساسه ،وسنقف عند بعض الصور التي تؤكد ذلك:

التشبيه البليغ:

جبيت على بوحمامة القيت العسكر غمامة

هذه الصورة ليس فيها خيال واسع بقدر ما فيها إحساس بالضيق، تماما كذلك الاحساس الذي ينتابنا حين يتكاثف الصباب أو السحاب.

الكنـاية: كما في القول التالي .

جبـال لـوراس بابا حني راني حواس

لحـمي مخـيط بالحـب والـرصاص

في العبارة التي تشكل البيت الثاني يعبر الشاعر عن إصابات جسمه الكثيرة بالرصاص ويكني عن ذلك بقطعة قماش مرقعة ومخيطة وهي مبالغة إذا ما ربطناها باليت السابق ،وإحساسه بأنه بخير وهو في جبال الأوراس إلا أن يكون ذلك من باب الاطمئنان النفسي في المكان الذي يعبر عن القوة والشجاعة ومن يصبح ما يعانيه من إصاباتبالرصاص أمر هين أمام الرسالة المقدسة وهي الشهادة في سبيل الدين والوطن.

الاستعارة:

يالكابتان اسمع لعشاري واش يقول
يحـيا بن بـلة ويتـسقـط ديقول

الشاعر هنا ينطق الجماد ويجعل للسلاح هتافا ينادي بحياة البطل "ابن بلة" ويندد بالمستعمر "ديقول"،وهو بتجسيد المعنوي في المحسوس إنما يترجم لمشاعره الثائرة ضد العدو في الآن الذي يشيد ويمجد أبطال الثورة ،ولا يتوقف عند هذه النماذج بل يتعداها إلى تصوير فني فيقدم من خلال الأغنية الشعبية صورة تكاد تلامس الحقيقة الكامنة في نفس كل جزائري يأمل في الحرية بحيث تصل في بعض الأغاني إلى أن كل كلمة تشكل في علاقتها بما يجاورها جزءا من الصور المترابطة والمنسجمة ،موضوعا دلاليا ،كما في الأغنية التالية:

من صابني احمـامة اتلوح في الري
وانشوف خاوتـنا راهم امـجاريح
ما صابني احمامة انفرفر وانــطير
وانشوف أخي في جيش التــحـرير
ما صابني احمامة انفرفروانطير
وانشوف خاوتنا اللي راهم في البير

فهذه صورة من مجموع صور تنقل لنا حالات مختلفة من الاحساس إما بالفرح أو الحزن أيام الثورة الجزائرية.

3- الإيقاع والموسيقى:

هل كان من الممكن أن نتصور في خضم المآسي أن تصدر هذه الأمة الجريحة مثل تلك الخالدات ؟ لقد أثبتت الدراسات النفسية أن في الغناء تخفيف لبعض الآلام كالانقباض وغيره والجزائري على أيام الثورة كان يعاني نفسيا وجسديا وماليا فهل أوحت أغانيه وموسيقاه البسيطة بذلك؟ لو تتبعنا بعض النماذج لسافرنا عبر الوزن والقافية والإيقاع الداخلي دون شك إلى تلك الفترة ولانسجمنا مع ما حل بآبائنا وأجدادنا والنماذج التالية صورة عن ذلك من خلال بعض الظواهر التي من شأنها إبراز جوانب الإيقاع والموسيقى داخلية كانت أم خارجية.

التكرار :

هو وسيلة تقنية بالغة الأهمية، إذ لا بد أن تكون للعبارة أو اللفظة المكررة من قوة التعبير وجماله ما يبعدها سياقيا عن الرتابة المملة ، من ذلك تكرار العبارة :

يا جبل بوطالــب أنت عالي وابعـــــيد
أنت عالي وابعيد سكنوك الثوار في الظلمة والجليد

فتكرار العبارة يشعر المتلقي بأهمية المعنى المشار إليه وهو البعد الذي تجاوزه الثوار من أجل الحرية ، وهي دعوة قوية للمشاركة المكثفة في الثورة .ومن النماذج التي ورد فيها تكرار اللفظة والعبارة لأهمية الموضوع القصوى الأغنية التالية:

الشــهدا، الشـــهدا لموا الشهدا داروا جبانة
لموا الشهدا داروا جبانة الجنة ليهم ،الحرية لينا

إن تكرار لفظة " الشهداء "إصرار على الجهاد وتأكيد على كبير الثواب وهو الجنة في الآخرة والحرية في الدنيا .

الطباق:

من شأنه إضفاء قوة على العبارة وهو ماثل في الأغاني الشعبية بكثرة،غير أن قيمته الجمالية تتفاوت من بيت لآخر من ذلك:

سي الصلح سيد السادات جاني خبرك قالوا مات
خـبـرنا كـل الولايات قـالـوا مازال في الحياة

فبين الموت والحياة يشع أمل جديد يقبل به المتلقي وبلهفة على حياة الحرية ،ومنه أيضا :

يا الحـــاج بولحـية يا اللي كافحت بالنية
ضرب الصباح وزاد العشية جاب الاستقلال والحرية

إن الجمع بين الصباح والعشية في النموذج السابق يوحي باستمرارية الثورة وعدم توقفها حتى الوصول بها إلى الاستقلال ،وما يؤكد ذلك هو العزم والنية المشار إليهما في البيت الأول.

التصريع:

وهو من أقوى عناصر الإيقاع في الأغاني الشعبية إذ لا نكاد نستثني أغنية إلا ويمثل فيها التصريع (إما مطلعيا إما داخليا).

ما تبكي يا علي بوغزال ما تبكي ما يغيضك الحال
يخرج سي محمد الحجار يخلف الثار من الاستعمار

4-القافية وحرف الروي:

تتنوع القوافي وحروف الروي تبعا لنوعية الأغاني ،إذ نجد الأغاني القائمة على البيت المكون من شطرين ،وهذا الشكل يغلب عليه التقابل الدلالي في المقطع الواحد مما يحقق التوازن الموسيقي تبعا لقصر الشطر أو طوله كما في البيتين الآتيين:

الكونـفة اللي جات والعسكر في لجيبات(26)
ولد أمي تحت الشجرات ما دريت حي ولا مات

ومن الأغاني ما يتكون من ثلاثة أشطر أو خمسة أشطر إذا اعتبرناها قصيدة نثرية ،كما في الأغنيتان الآتيتان:

أبركاهم خاوتنا لعرب هلكوا بعضاهم واش دواهم
الموس الماضي للدين ادواهم

أوخماسية:

بوطقاز على رجليه الميمة نمشي في الدورية(27)
الطيارة تحوم علية الميمة ما تبكيش عـــلية
الاستقلال انجيبو بيدية

ولو أردنا الوقوف عند الظواهر الموسيقية في الأغنية الشعبية فلا يمكننا بأي حال من الأحوال إهمال النبرات الداخلية الشجية المنبعثة من حوار داخلي ،أو من استرحام طفل بأبيه أو تعلق فتاة بأبيها لحظة الفراق أو شوق زوجة لزوجها ،وغيرها من المواقف اليومية التي سجلتها الأغنية الشعبية الثورية ،واستطاعت مع الوفاء القوي والصدق الثابت أن تجد تذوقا
لها كونها قريبة في لغتها وصورها من لغة الناس اليومية آنذاك وإلى اليوم وعلى تقادمها ما تزال تجد صدى لدى جيل الاستقلال لتقديره الالتزام فيها والثورية.

الخلاصة:

لكل فن جمالياته ،وجماليات الأغنيات الشعبية الثورية صادرة عن رسالتها الأخلاقية قبل كل شيء،وإن عيب عليها النبرة الخطابية ،فيكفي أنها كانت حاضرة دوما لتصف موقعة أو تمجد بطل أو تحيي ثائرا نوهي في بعض مواقعها إشارات إلى التراث ودعم للقيم النبيلة ومع مرور نصف قرن على ثورة الجزائر العظمى ما زالت الأغنيات الشعبية تردد ذلك لن جمالها أصيل أصالة هذا

الشعب ،وهي مع بساطة تفكيره تترجم وعيا ملما وشاملا بكل ما يجري في أرضه الطيبة.وإن كنا قد ركزنا في هذه المقاربة على أشعار قد تكون من نتاج منطقة معينة .

الإحـالات

1 ــ الموقف الأدبي،مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق،العدد99،تموز جويلية1979 ص.112.
2 ــ المرجع نفسه،ص.112.
3 - يريد الرصاص الكثيف
4 ــ زواوة: الاسم القديم للسكان الذين يسكنون اليوم القبائل.
5 - المينة:اللغم
6- ابن بولعيد:من مفجري الثورة التحريرية في ولاية الأوراس
7-الحاج لخضر:غقيد أثناء الثورة
8- جيش لصاص: جيش العدو
9- عبارة تؤدي معنى التحدي
10- التراس: الرجل.
11- جبل تارشوين:يقع شرق مدينة نقاوس.
12- جبل متليلي: مشهور بالأملاح وقعت فيه عدة معارك.
13- جبل بوطالب : يقع في الشمال الغربي من مدينة نقاوس وكان منطقة محرمة .
14- لافوت:الإنتخاب.
15- اصعصات : رفضت بشدة.
16-ديقاج:كلمة فرنسية وتعني ارحل بقوة.
17- مستاوة: جبل يقع شرق مدينة مروانة.
18- لراف: كلمة أجنبية وتعني التطويق.
19- القومي: الخائن.
20- ما يرنديش: أجنبية في الأصل وتعني لا يستسلم.
21- مجلة الثقافة ،تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر ،العدد86،سنة،1985م
22- د/محمد غنيمي هلال،دراسات في مذاهب الشعر والنقد ،عن المرجع نفسه،ص 60.
23- د/ عز الدين إسماعيل ،الشعر في إطار العصر الثوري،ص27،عن المرجع نفسه،ص182.
24- زدموا :كلمة عامية وتعني اندفعوا بقوة.
25- مينيتير : لباس عسكري.
26- لجيبات: سيارات صغيرة تحمل الضباط
.27- بوطقاز: حذاء يلبسه الجند